PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(9): 976-994
ISSN:1553-6939

Family relations in light of the dominance of Arab television broadcasting

Doctoral student Madi Fatima Zohra[1]

[1]Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Badji Mokhtar Annaba (Algeria).

The E-mail Author: madifatimazohraa@gmail.com

Received: 04/2024 **Published: 09/2024**

Abstract:

One of the most important social organizations that have a great role in socialization is the family, as a unique factor with characteristics that qualify it to occupy the first place in this field. But in addition, we find another influential factor that affects the family to a large extent and touches its members, making many changes either negative or positive, namely television and its development in terms of technologies or programs, whose impact on society in all its segments and the family in particular is known to all, as being a self-contained organization.

Keywords: Family, TV, Influence, Family relations.

واقع العلاقات الأسرية في ظل هيمنة البث التلفزيوني

طالبة الدكتوراه. فطيمة الزهـــرة ماضي[1]

[1]كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الانسانية قسم علم الاجتماع - جامعة باجي مختار- عنابة (الجزائر).

ملخـص:

من أهم التنظيمات الاجتماعية التي لها الدور الكبير في التنشئة، نجد الأسـرة كعامل متفرد بما تتميز به من خصائص تؤهلها لتحتل المركز الأول في هذا المجـال. لكننا وبالإضافة إلى ذلك، نجد عاملا مؤثرا آخر يؤثر فيـها بدرجـة كبيـرة ويمـس عناصـرها، ليحـدث فيها الكثـير مـن التغييـرات سـواء بالسـلب أو الإيـجاب، ألا وهـو التلفزيون وما وصل إليه من تطور من حيث التقنيات أو البرامج، والتي لا يخفى عن الجميع مدى تأثيرها على المجـتمع بجميع شرائحـه والأسرة على وجه الخصوص، باعتبـارها تنظيما مستقـلا بذاتـه.

الكلمات المفتاحيـة: الأسـرة، التلفـزيون، التأثـير، العـلاقات الأسريـة.

مقدمـــة:

تعتبر الأسرة أساس تكوين المجتمعات، فمن وظائفها استمرار النوع والمحافظـة على الاستقـرار. كما أنها تعـد في واقع الأسـر صورة عـن مجتمع مصغر متكامل أكثر من كونها نظاما يشمل عددا من الوظائف الخاصـة.

والأسرة هـي جماعـة من الأفراد يتفاعلون مـع بعضـهم البعض، كمـا أنها هيئـة أساسية تقوم بعملية تطبيع للأجيال، حيث تعتبر الأرضية لنقل جوهر الثقافة من المجتمع إلى الأفراد الذين يعيشون فيـه. إلا أنـه وفي بعض الأحيان، يحدث وأن تصـطدم العلاقات الأسريـة بمجموعة من المتغـيرات والتـأثيرات سواء الخارجية أو الداخلية، والتي قد تكـون في الكـثير من الأحيان سببـا في خلق جـو من التوتر، ممـا قـد يـصيب المنظومـة الأسريـة بعـدم الاستـقرار.

1/ إشكاليـــة الـــبحـــث:

تعد وسائـل الإعلام والاتصال من الأسباب التي تؤدي إلى اختلال التوازن الأسـري، ولعـل التلفزيون من أهمها في خلق مثل هذا الوضـع، بالنظر إلى أن الأسرة تتكون من أفراد يختلفون عن بعضـهم البعض من حيث الجنـس والعـمر والأذواق.

ومن هـنا يمكن أن نوجه الأنظار إلى حقيقة رئيسة، هي أن التلفزيون باعتباره من أهم وسائل الإعلام والاتصال غزوا وانتشارا في العالم، بالرغم من أنه في سنوات خلت لم يكن إلا مجرد فكرة تفتقر للإثبات، ولم يكن للعالم موعد معها، إلا حين بدأ بث أول الحصص على الشاشة بصفة منتظمة، وأصبحت البشرية كلها تتطلـع بشغف وذهـول إلى هذه الأداة التي غزت المجتمعات بشكـل لا يمكن للعقل أن يصدقه دفعـة واحدة. كما يمكن أن يعتبر من أخطر الاكتشافات، فما أصبح مسلم به أنه ثالث سبل التثقيف بعد الأسرة والمدرسة، نظرا لما ينفقه الأفراد: نساء، أطفال، رجال من وقت لا يستهان به أمام شاشته [1].

فالتلفزيون يمثل جهازا أيديولوجيا هاما، باعتباره قناة نقل ذات أبعاد ومرام متعددة. ومع ما وصلت إليه الثورة الاتصالية من تقدم هائل في مجال البث التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية، تزايد خوف المجتمعات من التأثيرات الثقافية الخفية لهذا التطور التكنولوجي، حيث أصبحنا في عصر التلفزيون العابر للحدود، رغم أنه لا يحتاج إلى مهارات خارقة للاستقبال. فالصوت والصورة والألوان والحركة، ثم الإعداد المناسب للرسالة الاتصالية كلها عوامل تعزز من قوة التأثير المستهدف للمشاهدين عبر العالم لتحقيق أهدافها المباشرة الآنية والمستقبلية.

فالتلفزيون كتقنية وكوسيلة اتصال يستحق نوعا من الانتباه لما أحدثه من تغير في حياة المجتمعات، فخصائصه وميزاته المتعددة تجعل منه أداة "سحرية" لها القدرة على ممارسة أنواع من التضليل، مما يجعل من المتلقي في حالة تبعية للجهاز، وعلى علاقة بما يبثه من أخبار وبرامج و مشاهد.

فقد أصبحت هذه الوسيلة، جزءا لا يتجزأ عن حياة الإنسان، فهو أداة تربط الفرد بالعالم الخارجي، بل ويمكن أن تجعل من ذاك العالم مساحة للمشاهدة المباشرة والآنية.

وقد أدخل التلفزيون الإنسان إلى حياة من نوع آخر يصدقها ويعيش أحداثها دون وعي منه في أكثر من الأحيان، فالبث من قلب الحدث يعطي للفرد إحساسا بالعيش في إطار المكان والزمان نفسه بلا فوارق جغرافية أو زمنية.

ففي عصر الفضائيات والبث المباشر أصبح الإنسان يتصرف حسب متطلبات الشاشة، فهو يتأثر بما يتلقاه ويتغير سلوكه وتفكيره بقدر درجة تأثره بالحدث. فالترويج للأفكار والاتجاهات التي لا تعبر دائما عن حقائق اجتماعية يؤدي إلى تضليل عقول الناس، مما يجعلهم منقادين وراء ما يرسله الجهاز، وتصبح مسألة تمرير السياسات في غاية من السهولة والسلاسة.

فقد أشار باحثون أمثال: "شرام Schramm" و"جوس Goss " و"دوب Dube" إلى أن: "التلفاز يساعد في عملية الحراك الاجتماعي والتطلع والتحضر بمساعدة الصوت والصورة، خاصة إذا كان ما يعرضه متكيفا مع مميزات أفراد المجتمع: لغة، عادات وتقاليد... كما يؤكد هؤلاء، أنه ولأسباب أخرى مثلا: يمكن أن يكون دافعا

للهجرة الخارجية أو لمشاكل غير مدركة، نظرا لما تعرضه الشاشة من أنواع الرفاهية والحياة السهلة، وتصور نوع من الحريـة والتحرر التي تعرف عن البلـدان المتقدمـة [2].

فقدرة التلفزيون على ضبط الجمهور وتنظيم الأفكار والوقت، وإعادة تشكيل علاقته مع المحيط والبيئة باتت عملية من الممكن تحقيقها، مما خلق جيلا يؤمن فقط بما يراه من صورة وما يسمعه من صوت (كلام)، جيلا يبعـد كل البعد عن الحياة الحقيقية للأحداث.

فالتلفزيون باعتباره وسيلة إعلام مميزة، لها القدرة على الهيمنة والاحتكار لما تملكه من إمكانيات هائلة في التأثـير على الحواس الإنسانية، والقدرة على بناء واقع مغاير لما هو عليه، فهو يمارس نوعا من "**السحر**" على مشاهديه إلى حـد أن البيـئة الإعلامـية أصبحت جزءا مـن العادات اليوميـة التي يمارسونـها تلقائيـا.

إن أهمية التلفزيون تتعاظم يوما بعد يوم بالنظر إلى استخداماته التي تمس جميع ميادين الحياة باعتباره نظاما، كما جاء في قول "مارشال ماكلوهان Marshall McLuhan": "يقلب الأوضاع الثقافية والاجتماعية والخلقية والجمالية... قلبا شاملا لا مجال إلى نكرانـه" [3]، ذلك أن ميـدان الاتصال يفرض نـوعا من العوامل العاطفية والمميـزات الخاصة التـي تطلقها محطات البث إلى أن تصل إلى أجهزة الاستقبال، وهذا ما جاء في الصيغة التي وضعهاً "لاسويل Harold Dwight Lasswell" في صيغته المشهورة:

من يقول؟ ماذا يقول ؟ لمن يقول؟ بأي وسيلة ؟ بأي تأثير ؟

وباعتبار الأسرة أكثر التنظيمات الاجتماعية استخداما لجهاز التلفزيون، فهو يحتل مكانة مرموقة بين الاهتمامات الأولية لأفرادها، فلعله أصبح جزءا فعالا في الحياة اليومية لهم، حيث لا يمكنهم التخلي عنه. كما أن التلفزيون من أكثر وسائل الاتصال الجماهيري قدرة على استقطاب الناس وبقاء أفراد الأسرة ساعات طويلة في المنازل لمشاهدة برامجه المختلفة" [4].

إن من خصائص الرابطة الأسرية تعدد مكوناتها ومجالاتها، فهناك توجد مجموعة من المصالح المتبادلة والخبرات المشتركة بين فاعلي الأسرة، إلى جانب الخبرات الخاصة بكل فاعل، كما يوجد المسكن

الواحد الذي يجتمع فيه كل هؤلاء. إضافة إلى العواطف والمشاعر الوجدانية، ففي حياة الفاعل الواحد وحياة الأسرة أحداث وذكريات وتجارب تشكل جزءا من تاريخ الاثنين معا. وما الحاضر إلا امتداد لماض تأثر بما سبقه ويتأثر بما سيلحقه، ويمثل المسكن الواحد رابطة قوية تجمع أفراد الأسرة، فهو يعد النقطة التي يلتقون فيها والتي توحدهم، فهي خط انطلاق ووصول في آن واحد.

وقد انتهى" أوجست كونت A. Comte" إلى اعتبار الأسرة النقطة التي يبدأ منها التطور، فهي أساس تكوين المجتمعات، ومنها ينبثق فاعلون ويكتسبون معايير مختلفة، وقيم تصبح بالتعبير الدوركايمي موجهة للعلاقات الاتصالية بين الفاعلين [5].

وقد اعتنق "تالكوت بارسونز T. Parsons" في دراسة الأسرة وجهة نظر بنيوية وظيفية، معتبرا أن الأسرة ليست نسقا مستقلا ومنعزلا، بل منظومة فرعية وثيقة العلاقات متشابكة مع سائر المنظومات الفرعية ومع المجتمع بوصفه كلا واحدا [6].

ولقد ركزّ "روبرت ميرتونR. Merton" على فكرة أن الأسرة كوحدة وظيفية يجب دراستها انطلاقا من عناصرها الثقافية وتحليلها تحليلا وظيفيا شاملا كواقع اجتماعي وثقافي.

ومن هذا المنطلق، حاولنا من خلال هذا البحث، الكشف عن واقع العلاقات الأسرية في ظل هيمنة البث التلفزيوني من خلال التحليل والمناقشة، لتوضيح مدى تأثر أفراد الأسرة بما يستهلكه من مادة إعلامية عبر جهاز التلفزيون، معتمدين في ذلك على التساؤل الرئيسي التالي:

كيف يؤثر التلفزيون على العلاقات داخل الأسرة؟

وللإحاطة بهذا التساؤل، ارتأينا توضيحه عبر التساؤلات الفرعية الآتية:

* **هل يقف التلفزيون حاجزا أمام عملية الاتصال بين أفراد الأسرة الواحدة؟**

* **هل يمكن أن يتسبب التلفزيون في خلق مشاكل وصراعات داخل المنزل؟**

*** هل يعتبر التلفزيون عاملا من عوامل تكريس الانفرادية وسط الحياة والاجتماعية؟**

ويتوقف اختيارنا لموضوع "واقع العلاقات الأسرية في ظل هيمنة البث التلفزيوني" على الأسباب التالية:

- الرغبة الذاتية في دراسة هذه الظاهرة التي انتشرت بشكل واسع وملحوظ برغم تعدد واختلاف وسائل الاتصال وتزاحمها مع تواجد التلفزيون.
- الكشف عن الآثار السلبية التي قد يخلفها التلفزيون كوسيلة اتصالية على مستوى العلاقات الأسرية.
- دراسة علاقة التأثير والتأثر بين الأسرة والتلفزيون.
- الكشف عن علاقة المستوى الثقافي والعلمي لأرباب الأسر بنوعية اختيار البرامج التلفزيونية المشاهدة.
- التعرف على واقع هذه الظاهرة من خلال التأثيرات الايجابية والسلبية للتلفزيون.

وقد اخترنا عرض هذا الموضوع وفق خطة منهجية تضم إطارين، الإطار المفاهيمي والإطار المنهجي.

2/ التعريف بالكلمات المفتاحية:

لا يخف ما للمفاهيم من دور مهم في عملية البحث بصفة عامة، والبحث الاجتماعي بصفة خاصة، فهي على نحو ما يذهب إليه "محمد علي محمد" توجه الباحث من خلال تحديدها لنقطة الانطلاقة، كما أنها تحدد العمليات والإجراءات الضرورية لملاحظة الفئات والمتغيرات التي تمدنا بمعلومات أكثر عن موضوع الدراسة، فضلا عن أنها تسمح بإجراء الاستنتاجات العلمية [7]. وتتمثل مفاهيم بحثنا في ما يلي :

أ – التأثـــير: في اللغة يعني الحديث نقله، فالحديث مأثور أي منقول [8].

أما اصطلاحا: فالتأثير بعض التغيير الذي يطرأ على متلقي الرسالة الإعلامية، فقد تلفت الرسالة انتباهه ويدركها، وقد تضيف إلى معلوماته معلومات جديدة، أو تعدل من اتجاهات قديمة، وقد تجعله يتصرف بطريقة أخرى أو يعدل من سلوك سابق.

ويعرف أيضا على أنـه: "طريقة إدراك برامج التلفزيون وسلوك الاستجابة له من خلال المشاهدة، والأساس في دراسة التأثير هو الملاحظة مثل: تغيرات الوجه، تقلص العضلات أو انبساطها، إلى غير ذلك من الإجراءات السيكولوجية مثل: حدقة العين وغيرهـا من أساليب المشاهدة [9].

وقد قسمه بعض العلماء إلى: تأثير ظاهر وتأثير كامن، وآخرون إلى تأثير يهدف القائم بالاتصال إلى تحقيقه، وتأثير لا يهدف إلى تحقيقه [10].

التعريف الإجرائي لمفهوم التأثير: هو مجمـوع التغيرات التي تطرأ على الفرد ظاهرة في سلوكا ته، فقد يصبح داخل الأسرة منطـويا أو حاد المزاج (سلوك عدواني) بسبب انفراده بجهاز تلفزيون خاص به أو لعدم توفره على جهاز خاص، مما يخلق مشاكل بينه وبين أفراد أسرته بسبب مشاهدة برنامج ما في حين يريد فرد آخر مشاهدة برنامج آخر، وفي نفس الوقت. فتحدث مشاذات كلامية قد تصل إلى حد الشتم أو الضرب.

ب- التلفزيون: يعد التلفزيون من أحدث وسائل الاتصال والإعلام الجماهيري، ظهر نتيجة الثورتين المعلوماتية والتكنولوجية، لينفرد بذلك بنوع خاص من التأثير على اتجاهات ومواقف سلوكات الجماهير، وتتميز هذه الوسيلة عـن غيرها من الوسائل التي سبقتها أنها جمعت بين الصورة والصوت، والنص الإعلامي.

وفي هذا السياق، يمكننا أن نورد بعض التعاريف للتلفزيون كجهاز إخباري طبع عصر التكنولوجيا والمعلومات. فكلمة تلفزيون "Télévision" مركبة من مقطعين: الأول: Télé ومعناها: عن بعد. والثاني: vision ومعناها: الرؤية. والكلمة كاملة تعني الرؤية عن بعد [11].

فقد عرف في معجم المصطلحات الإعلامية بأنه : "وسيلة نقل الصوت والصورة في وقت واحد بطريقة الدفع الكهربائي، وهو من أهم الوسائل السمعية البصرية للاتصال بالجماهير لبث برامج معينة" [12].

وعرفه "فريد محمود عزت"، في القاموس الموسوعي للمصطلحات الإعلامية بأنه: " جهاز لنقل الصورة المتحركة مثل (السينما) وعرضها كما ينقل الراديو (الأصوات)، وهو يتكون من جهاز الالتقاط كالآلة السينمائية يصور المشاهد، فتعكس هذه الصور على لوح من الزجاج المصفر" [13].

كما أعتبر التلفزيون عند البعض بأنه: " من أهم وسائل الاتصال الجماهيرية المعاصرة، حيث يتفوق عليها جميعا بقدرته على جذب الانتباه والإبهار وشدة التأثير، فهو يجمع بين مزايا الإذاعة الصوتية "الراديو" من حيث الصوت، ومزايا السينما من حيث الصور والألوان، ومزايا المسرح من حيث الحركة" [14].

وقد جاء في معجم المصطلحات الإعلامية "لكرم شلبي" أن: "التلفزيون هو وسيلة من وسائل الاتصال تعتمد على الصوت والصورة في آن واحد، ومن تم فقد جمعت بين خواص الإذاعة المسموعة وخواص الوسائل المرئية، والمعنى نقل الصور والمرئيات عن بعد" [15].

نلاحظ فيما سبق من التعاريف التي جاءت حول التلفزيون، أنها تركز أكثر على أنه وسيلة الإعلام الجماهيرية الوحيدة من بين كل وسائل الإعلام التي جمعت بين الصوت والصورة والحركة، التي كانت متفرقة كل ميز وسيلة على حدا، وهذا ما جعل منه أهم عامل (وسيلة) تأثير على مشاهديه، ولو بدرجات متفاوتة.

التعريف الإجرائي لمفهوم التلفزيون: هو عبارة عن جهاز له القدرة على نقل الأخبار صوتا وصورا. وقد يحدث ذلك في بث مباشر عبر الأقمار الاصطناعية، كما أنه سهل الاستعمال لكل الفئات الاجتماعية ومختلف الأعمار تقريبا.

ج – الأسرة: في اللغة هي: أهل الرجل والمرأة وجمعها أسر [16].

واصطلاحا: الأسرة (Family) تعد هيكلا اجتماعيا يتميز بطابع ثقافي مميز يختلف من مجتمع لآخر، ولها أنواع: ممتدة، مشتركة ونووية.

وعرفها "كنجزلي ديفز **Kingsley Davis**" بأنها: "جماعة من الأفراد تقوم العلاقات فيها بينهم على أساس قرابة العصب، وهم أقارب بعضهم للبعض الآخر" [17].

وعرفها "محمد عاطف غيث" في قاموس علم الاجتماع بأنها: "الأسر الإنسانية جماعة اجتماعية بيولوجية، نظامية، تتكون من رجل وامرأة يقوم بينهما رابطة زواجيه مقررة وأبنائها، ومن وظائفها:

* إشباع الحاجات العاطفية.

* ممارسة العلاقات الجنسية.

* تهيئة المناخ الاجتماعي والثقافي" [18].

إذن: فالأسرة تعد نموذجا للتفاعل العاطفي والاجتماعي لما يجمع بين أفرادها من تنوع في العلاقات (أبوة، أمومة، أخوة)، والتي تبنى على أساس التفاهم والمودة والاستقرار، إلا أن هناك عوامل خارجية دخيلة يمكن أن تمس تلك العلاقات، وقد تكون سببا في خلق مشاكل بين مجموع أفرادها.

د- العلاقـــات الأسريـــة:

فهي تلك العلاقات التي تنشأ بين أفراد الأسرة الواحدة، والتي تساعد على تنفيذ جوهر عمليات التنشئة بين أفراد العائلة، وكذلك العلاقات التي تساعد أفراد الأسرة على السيطرة على بعض الأنشطة المهمة وقد تتضمن هذه العلاقات تنوعا هائلا للنشاط العام أو المبالاة [19]. فالعلاقات الأسرية ذات أهمية كبرى في تعايش الأفراد مع بعضهم البعض، ونشوب الخلل بداخلها يسيء إلى مسار التنشئة الاجتماعية.

التعريف الإجرائي للعلاقات الأسرية: العلاقة الأسرية هي مجموعة من المشاعر والأحاسيس التي تجمع الإخوة فيما بينهم، أو الأبوين وأبنائهما فيما بينهم. وهي أساس لقيام الأسرة مهما كان حجمها ويظهر نجاح أو فشل هذه العلاقة في نوعية التعامل بين أفراد الأسرة الواحدة. فإن كانت الأسرة تسودها المشاجرات الدائمة،

فالعلاقة متدهورة أو قد أصابها خلل. وإن كانت الأسرة مستقرة فالعلاقة سليمة بين أفرادها. وقد يعد التلفزيون من أهم أسباب تدهور العلاقات الأسرية.

3/ المنهج المستخـدم:

وفيما يخص منهجية البحث: ولأن قيمة النتائج المتوصل إليها تتوقف على قيمة المناهج المستخدمة، كما ذهب إلى ذلك العديد من الباحثين، أمثال "كاتز وفاستنجر Katz & Fastinger"، ولأن المنهج يمكننا من توضيح الطريق الذي سيتبعه الباحث، فقد اخترنا منهج البحث الوصفي الذي يقوم على وصف الظاهرة، وكذلك التحليل وتفسير البيانات المتحصل عليها.

وقد اعتمدنا هذا المنهج لرصد ومعاينة تأثيرات التلفزيون على العلاقات داخل الأسرة، ومحاولة التحليل وتفسير العلاقة بينه وبين ظهور ما يسمى بالتوتر داخل المنظومة الأسرية، معتمدين بذلك على تقنيات المنهج الوصفي الممثلة في: الملاحظة، المقابلة والاستمارة، والتي أخذت حيزا كبيرا من الأهمية، لأنها كانت أساسا لكشف الستار عن تأثير التلفزيون على العلاقات الأسرية. وقد وجهت الاستمارة للأسر المبحوثة يكون رب الأسرة سواء الأب أو الأم من يجيب على أسئلتها.

4/ بعض الدراسات حول الظاهرة المدروسة:

أ- **دراسة نصير بوعلي بعنوان: أثر البث التلفزيوني الفضائي المباشر على الشباب الجزائري (دراسة تحليلية وميدانية) 2002.**

وقد جاءت هذه الدراسة لتحقيق جملة من الأهداف نذكر منها:

- تسليط الضوء على ظاهرة البث التلفزيوني المباشر بالجزائر.
- علاقة المشاهد الجزائري بالفضائيات في ظل تطور التلفزيون وملاحقه المختلفة.
- تسليط الضوء على هذه الظاهرة ومدى تأثيراتها على شريحة مهمة من المجتمع الجزائري، ألا وهي شريحة الشباب.
- الكشف عن الآثار المحتملة من جراء الاستخدام المتنامي لهذه الوسيلة (التلفزيون).
- دراسة الأنساق القيمية المترتبة على البث الفضائي التلفزيوني المباشر، وكذا أنماط التأثير وما يتركه على القيم المحلية مع قياس الآثار الظاهرة على سلوكيات الأفراد.

- محاولة معرفة الآثار التي قد تترتب على الهوية الثقافية من جراء الاستخدام المتنامي للفضائيات.

وقد تم اختيار عينة الدراسة من فئة الشباب، واعتماد أسلوب تحليل المحتوى، واستمارة الاستبيان للكشف الميداني للظاهرة محل البحث. حيث كشفت الدراسة عن مجموعة من النتائج، نذكر منها ما يلي:

- ينجم عن البث التلفزيوني الفضائي آثارا ايجابية تتمثل في زيادة الوعي بالبيئة العالمية، وكذا تنمية المهارات اللغوية.
- للبث التلفزيوني الفضائي آثارا سلبية ظاهرة كالتقليد الأعمى للسلوكات السيئة، وما يحدثه التعرض للأفلام والمسلسلات الإباحية الأجنبية.
- كلما زاد تعرض الشباب للبث التلفزيوني الفضائي، زادت الآثار الاجتماعية والسلوكية السلبية عليهم.
- هناك سهولة في تغيير الاتجاهات وتكوينها، لكن يصعب تغيير السلوكات عبر وسائل الاتصال الجماهيري بالنظر إلى المؤشر الثقافي المستخدم في الدراسة [20].

أفادتنا هذه الدراسة في رفع الستار على ما يطلق عليه مصطلح **التأثير**، وما قد ينجم عن التلفزيون كأداة اتصالية من آثار تمس جميع شرائح المجتمع.

ب- **دراسة وعد إبراهيم خليل الأمير: بعنوان (دور التلفزيون في قيم الأسرة)، 1999.**

استهدفت هذه الدراسة ما يلي: التعرف على وظائف التلفزيون في القيم من خلال ثلاث مجالات وهي: العلاقات الأسرية، الزواج، والموقف من المرأة.

اختارت الباحثة مدينة الموصل لتكون مجتمعا للبحث، وتألفت عينة الدراسة من 300 أسرة، حيث أخذ من كل أسرة مفردتين بحثيتين، الأولى من الأبناء الشباب من عمر 16-27 سنة، والثانية من الآباء من عمر 35سنة فما فوق، فيصبح بذلك العدد الكلي600 مفردة.

توصلت الدراسة من خلال البحث الميداني إلى عدة نتائج، منها:

- ظهرت هناك فروقات واضحة في معدل المشاهدة بين الأبناء والأبناء.
- وجود اعتقاد شائع لدى أفراد العينة أن التلفزيون ينشر القيم السلبية.
- اتفاق المبحوثين على أن للتلفزيون دور واضح في تزويد المجتمع بالقيم الجديدة.

- للتلفزيون فضل كبير في تغيير نظرة المجتمع للمرأة.
- يتمثل دور التلفزيون في مجال القيم في ثلاثة أوجه: التزود، التدعيم، والتغيير [21].

5/ المقاربات النظرية المفسرة لموضوع الدراسة:

أ- نظريــة الرصاصة السحرية أو نمـوذج الحقنة تحت الجـلد.

ظهرت نظرية الرصاصة الإعلامية تأثرا بالنظرية النفسية الشائعة، والمتمثلة في المنبه والاستجابة التي تفترض أن لكل فرد رد فعل وأن كل منبه يحقق استجابة مؤكدة، واعتبرت وسائل الإعلام منبها تتعرض له الجماهير وتستجيب له بشكل أو بآخر، وعززت هذه النظرية بإنشاء معهد لتحليل الرأي العام الأمريكي سنة 1937، حيث كانت بمثابة رد فعل للإحساس بخطر هذه النظرية التي تعطي القوة الكبيرة في التأثير تشبه بمن يطلق الرصاص ليصيب فورا الهدف المقصود [22].

وتقوم هذه النظرية على اعتقاد أن جمهور الاتصال عبارة عن مجموعة من الناس يتأثرون على انفراد بوسائل الإعلام التي يتعرضون لها، ورد الفعل إزاء ذلك يعد تجربة فردية أكثر منها جمعية. ويمكن استنتاج افتراضان من هذه النظرية، هما:

* يتلقى الأفراد المعلومات من وسائل الإعلام مباشرة دون وجود وسائط.

* إن رد فعل الفرد رد فردي لا يعتمد على تأثره بالآخرين [23].

ويعكس ذلك بأن جماهير وسائل الإعلام مكونون من كائنات سلبية، يمكن التأثير عليهم تأثيرا مباشرا بواسطة هذه الوسائل، فالجماهير مجرد ذرات منفصلة من كتلة ملايين القراء والمستمعين، والمشاهدين مهيئون لاستقبال الرسائل التي تشكل كل منها منبها قويا، ومباشرا يدفع المتلقي إلى القيام بتنبيه معين يسعى القائم بالاتصال إلى تحقيقه.

ويقول "ولبر شرام Wilbur Lang Schramm" معبرا عن تصوره آنذاك لتأثير وسائل الإعلام من وجهة نظر أصحاب النظرية : "إنه كان ينظر للإعلام على أنه رصاص سحري ينقل الأفكار، والمشاعر من عقل إلى عقل، وكان ينظر للجمهور على أنه سلبي لا يستطيع الدفاع عن نفسه" [24].

ولم تصمد هذه النظرية طويلا، إذ أن عملية الاتصال عملية معقدة وهي تخضع لمجموعة من العوامل المتعدد التي تتحكم في فعالية الرسالة الإعلامية والاتصالية.

فالأسرة هي عبارة عن مجموعة تتكون من أفراد يتميز بعضهم عن بعض، لكن تجمع بينهم رابطة الدم، يتعرضون لما يبثه التلفزيون من برامج ويتأثرون بها نظرا لاختلاف أجناسهم وأعمارهم، مما قد يجعل مستوى التأثير فيهم من خلال تلك الوسيلة يتفاوت من فرد إلى آخر، فالأسرة هي عرضة بشكل مباشر للبرامج التي يبثها التلفزيون.

ب – **نظرية وسائل الاتصال كامتداد للحواس (النموذج الفني، التاريخي لمارشال ماكلوهان** Marshall McLuhan**)** :

يقدم هذا النموذج تصورات نظرية وبعض الافتراضات الأساسية عن التأثير الكمي لوسائل الاتصال والإعلام وثقافته في المجتمع، وفرضه الأول هو: "أن الناس يتكيفون مع بيئتهم في كل عصر من خلال توازن ونسبة محددة لاستخدام الحواس وصلتها بالوسيلة الاتصالية الرئيسية التي يستخدمونها، والتي ينتج عنها نسبة استخدام لحاسة معينة ذات صلة بتنوع الوسيلة المستخدمة" [25].

ومهما كانت نوعية الوسائل السائدة فإنها ستؤثر على الطريقة التي يرى الناس بها العالم. أما الافتراض الثاني لدى مكلوهان والمعروف ب" الوسيلة هي الرسالة" فهذا راجع إلى قوة التأثير العام الذي تملكه الوسيلة الإعلامية بمعزل عن مضمونها.

أما الافتراض الأخير فيتمثل في التفريق بين ما سماه بوسائل الاتصال الساخنة ووسائل الاتصال الباردة. فالوسيلة الساخنة، هي تلك التي تشتمل على معلومات أحساسية كاملة وتفصيلات كثيرة، ففي الوسائل الساخنة يكون المتلقي بحاجة أقل ليصبح معنيا باستكمال المعلومات الناقصة. وينسب ماكلوهان إلى الوسائل الساخنة، أنها ذات مشاركة منخفضة، ويمثلها الراديو والسينما.

وإلى جانب ذلك، فالوسائل الباردة تستدعي الأفراد للمشاركة في استكمال المعلومات الناقصة بإدراكهم الحسي، والتلفزيون الوسيلة الباردة، يمد المشاهد برسم فقط عبر نقاط ضئيلة مضاءة، ولإدراكها حسيا سيملأ المشاهد بين هذه النقاط البصرية على الشاشة، وسيصبح الفرد بإدراكه الحسي معنيا بالحافز، والتمييز هام، إذ يرى ماكلوهان بأنه أساسي فيما يتعلق بالتأثير على المجتمع [26].

ومن هنا، تظهر قوة التأثير الذي يملكه التلفزيون كوسيلة، أولا لما يتميز به من خصائص كجهاز، فضلا على ما يبثه من برامج ومواضيع تمس الحياة المعاشة بشكل أو بآخر للأفراد مهما كانت أعمارهم وأجناسهم.

ج- نظرية الغرس الثقـــافي.

هذه النظريـة تعلقت بوسيلة التلفزيـون لدراسة العنف والجريمـة في المضامين التلفزيونية، وتطورت ونتج عنها اكتشاف أن الفرد الذي يتعرض للتلفزيون تنغرس فيـه قيم وتصورات تجعله يتبناها ويظن أنـها فعلا ما يحـدث بالواقـع، وبالتالي تنغرس فيه لا شعوريا. والمتلقي يتقبل ما يبث له، على أنـه تعبير حقيقي للواقع، لكونه غير واع بعملية صنع هذا الواقع.

وترتكز هذه النظرية على الفرضيات التالية:

- يعد التلفزيون وسيلة فريدة لغرس الثقافات وإنمائها بالمقارن مع وسائل الإعلام الأخرى.
- تكون رسائل التلفزيون نظاما ثقافيا متماسكا يعبر عن الاتجاه السائد.
- تحليل رسائل التلفزيـون يقدم علامات لعملية الإنماء الثقافي.
- يركز تحليل الإنماء والغرس الثقافي على مساهمة التلفزيون في نقل الصور الذهنية على المدى البعيد [27].

تـؤكد نظرية الغرس الثقافي على أن التلفزيون يصنع لمشاهديه على المدى الطويل واقعا خاصا مختلفا عن الواقع الحقيقي، وأن المشاهدين بحـكم تأثرهم ببرامجه يصدقون هذا الواقع ويتعاملون معه باعتباره حقيـقة. وبالتالي، فهو يمس مجالات من الحياة اليومية لهـم، كتأثيره على الوقت ويظهر ذلك في تغيير مواعيد النوم والأكـل مثلا، كـذا تأثيره على النشاطات التربوية والاجتماعية كممارسة الرياضة والمطالعـة وزيارة الأهـل والأقرباء، إضافة إلى تأثير التلفزيون على التحصيل الدراسي خلال مرحلة الطفولة والشباب على السواء.

6/ نتائــج الدراســـة:

لقد سمحت لنا معطيات البحث بالكشف عن بعض النتائج فيما يخص العلاقات الأسرية في ظل هيمنة التلفزيون، نذكر أهمها فيما يأتي:

- التهمت المشاهدة التلفزيونية جانبا مهما من الزمن الحميمي المتاح لأفراد العائلة.

- استحوذت ثقافة الصورة على جانب مهم من فراغات الوقت المتاح لأفراد الأسرة.
- يقترح التلفزيون على أفراد الأسرة مواد مختلفة تسمح لهم بالتعرف على ثقافات الشعوب الأخرى.
- تتجه اهتمامات الأسرة أكثر نحو استهلاك المواد الترفيهية على حساب مواد أخرى يعرضها التلفزيون من خلال برامجه المختلفة.

7/أهـــم المقـترحات.

على ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة، يمكننا تقديم بعض المقترحات التي تساهم في مواجهة أو التقليل من التأثير الذي يحدثه التلفزيون على العلاقات الأسرية. وتتمثل الاقتراحات أو الحلول، التي قد تمكن الأسرة في اعتقادنا من الانتصار على وسائل الإعلام خاصة التلفزيون، فيما يلي:

– أن تضع الدولة إستراتيجية لتنمية الأسرة بتوفير الظروف المادية والمعنوية، التي تكمن في سياسة تعليمية وتربوية ملائمة للمبادئ والثوابت الوطنية.

– أن ترسم الأسرة خطة تربوية لأبنائها، بداية من تخطيط المشاريع التي تعتزم القيام بها: مثل تنظيم الإنجاب، والتحضير المادي والمعنوي للأفراد، وتربيتهم بطريقة تمكّنهم من التّأقلم مع كلّ الأحوال الإيجابية منها والسيئة، حتّى يستطيعون مقاومة المشاكل والصعوبات التي تعترضهم في الحياة.

– التوعية الدائمة للأفراد صغارا وكبارا بدورهم الفعال وأهمّيتهم القصوى في تنمية وتطوير مجتمعنا إلى الأحسن. كذلك توعيتهم بأهميّة عامل الوقت، وتثمين العمل مهما كان نوعه، وعدم احتقار الحرف والمهن الصغيرة. وغرس قيم الوطنية والتديّن لدى الأفراد خاصة الأطفال، لأنّهم بناة المستقبل.

– تعويد أطفالنا الانضباط في أوقات معينة لمشاهدة التلفاز، ولكي نقنعهم بذلك نعقد جلسات عائلية للنقاش حول التلفاز، والهدف من مشاهدة كل فرد من أفراد العائلة، ومن المستحسن وضع مخطط لذلك، يلتزم به الكل قدر الإمكان.

– أن تجتمع الأسرة في بداية كل أسبوع لتقرير ما سيشاهدونه من البرامج خلال الأسبوع، واستماع آراء الأطفال في هذا الشأن. وأن تحدد الأسرة لكل مرحلة من المراحل العمرية لأفراد العائلة الوقت اللازم لمشاهدة التلفاز.

– أن نكون جادين ومصرين على إتباع نظام في مشاهدة التلفاز، وتطبيق الخطوات السابقة؛ لأن الاستسلام لرغبات الأطفال قد يجعلنا نخسر الكثير.

– أن نكون قدوة لأطفالنا في المشاهدة، بحيث نختار البرامج الجيدة التي نشاهدها، ونلتزم بأوقات المشاهدة التي حددتها الأسرة، وألا ندعو أطفالنا إلى شيء ويخالف فعلنا ما نريده منهم.

– أن يشارك واحد أو أكثر من أفراد الأسرة الأطفال في مشاهدة التلفاز لضبطها ومناقشتهم فيما يرون ويسمعون لكي لا يكونوا مشاهدين سلبيين.

– أن تفتش العائلة عن برنامج ممتاز أو أكثر يستفيد منه كل الأفراد، وأن تطرح عقبه على الأطفال أسئلة تدور حول شكله ومضمونه.

– أن ننوع في البرامج، فمن برامج فكرية إلى ثقافية إلى علمية إلى تربوية إلى ترفيهية وهكذا، وأن نوجه أولادنا نحو ذلك، فلا تكون مشاهدتهم لأفلام الرسوم المتحركة فقط.

– أن ننقد ما يعرض علينا، ونعلّم أولادنا ذلك، ونتساءل: هل أضاف لنا شيئاً جديدا أم لا؟ ومن المستحسن أن نسمع رأي غيرنا، ورأي أبنائنا فيما شاهدنا، فقد يكون لهم رأي مختلف، فإن تبادل الآراء فيما نشاهده، يمنح هذه العملية حيوية ويزيدها متعة وفائدة.

– ألا نجعل مشاهدة التلفاز وعدمها ثواباً وعقاباً. فإن ذلك، قد يؤدي إلى نتائج عكسية تؤثر على نفسية الطفل وسلوكه.

– إذا أثارت بعض البرامج والمسلسلات حب الاطلاع، فحاول أن تقوم برحلة أو تقرأ حول الموضوع لتزداد علما ومعرفة، أنت وأفراد أسرتك.

– أن تقترح الأسرة نشاطات تحل محل السهرات والجلسات أمام التلفاز، أو تقلل من ذلك مثل: الألعاب الجماعية والنزهة إلى الحدائق العامة، أو مباراة رياضية أو تركيب قطع مرسومة في مجلة أو زيارة قريب.

– أن نبعد التلفاز عن غرفة الطعام، فمشاهدة التلفاز أثناء الطعام تقطع الكلام بين أفراد العائلة والحديث عن شؤون العائلة وقضايا الساعة.

– ألا نجعل التلفاز وسيلة للترويح وإملاء وقت الفراغ، بل علينا أن ننوع في هواياتنا المفضلة، كالمطالعة والرياضة والأنشطة الاجتماعية... الخ.

– الاهتمام المكثف بهذه الظاهرة نظرا لما لها من انعكاسات سلبية على الأفراد داخل الأسرة الواحدة أو خارجها، وذلك بوضع إستراتيجية مخططة لعلاج المشكلة .

– ضرورة توعية الأسر بالسلبيات التي قد تنجم عن جهاز التلفزيون باعتباره عائق للتواصل فيما بين أفراده.

– محاولة الأسرة في وضع قانون داخلي لأوقات مشاهدة التلفزيون، وأخرى للاجتماع العائلين حتى لا يشوبها جو من البرود العاطفي .

خـــاتمــة:

لقد كانت هذه الدراسة محاولة للبحث في ظاهرة من الظواهر التي تمس واقع الأسرة الجزائرية، لاسيما في مرحلة غزت فيها التكنولوجيا عقول الناس بمختلف أجناسهم وانتماءاتهم.

وباعتبار الأسرة مؤسسة اجتماعية قائمة بذاتها تسعى إلى تحقيق الاستقرار لمكوناتها (الأفراد)، وتزويدهم بما قد يفيدهم في حياتهم الاجتماعية بصفة عامة.

إلا أنها وخلال قيامها بهذه العملية، تصطدم ببعض العوائق التي تحول دون تحقيق هدف الاستقرار. ومن بين تلك العوائق، ظاهرة تعدد أجهزة التلفزيون وملحقاته، وما ينتج عنه من تأثيرات قد تكون بمثابة سبب في زعزعة كيان الأسرة وثباتها.

إن تعدد المحطات واختلاف الأذواق، أحدث داخل البيت شرخا كبيرا أدى بدوره إلى بروز ظاهرة أخرى تمثلت في انفراد كل شخص داخل الأسرة بجهاز خاص به، يقضي معظم وقته في مشاهدة البرامج المعروضة والمفضلة له، مما يحد من عملية التواصل مع باقي الأفراد. ومما يؤدي كذلك إلى برود على مستوى العواطف العائلية.

ومن جانب آخر، قد تأخذ المشكلة طريقا أعنف. فمن الممكن جدا، أن تحدث مشاجرات أو خصومات بين أفراد الأسرة لتصل إلى حد المقاطعة.

وخلاصة القول، أن التأثير التلفزيوني يمس كل الطبقات الاجتماعية وكل المستويات الثقافية لما يتميز به من "سحر" في الصوت والصورة، ويظهر ذلك التأثير على ثلاث مستويات: اتجاهات، معارف وسلوكات، وما قد يترتب عنه من نتائج سلبية وانعكاسات متعددة تأخذ بالأسر إلى بؤرة التفكك.

قائمة المراجع:

(1)_ إيناس محمد غزال، "**الإعلانات التلفزيونية وثقافة الطفل**"، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، 2001، ص07.

(2)_ عبد الرزاق محمد الدليمي, "**عولمة التلفزيون**"، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان، ط01، 2005، ص17.

(3)_ نفس المرجع، ص30.

(4)_ نفس المرجع، ص35.

(5)- فريدريك أنجلز:"**أصل الملكية والملكية الخاصة للدولة**"، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم،1891، ص35.

(6)_ جلال إسماعيل حلمي، **دراسات عربية في الاجتماع الأسري**، دار العلم، دبي، ط01، 1990، ص47.

(7)- محمد علي محمد، **علم الاجتماع والمنهج العلمي**"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط03، 1986، ص91.

(8)- **المنجد في اللغة والإعلام**، دار المشرق، بيروت، ط36، 1997، ص03.

(9)_ إبراهيم إمام، **الإعلام الإذاعي والتلفزيوني** ، دار القطر العربي، القاهرة، ط 03، 1985، ص131.

(10)_ عبد الله بوجلال وآخرون، **آثار التلفزيون على المشاهدين**، مجلة بحث ، جامعة الجزائر ،العدد02، 1994، ص128.

(11)_ فضيل دليو، "**تاريخ وسائل الاتصال**"، دار أقطاب الفكر، الجزائر، 2007، ص118.

(12)- **معجم مصطلحات الإعلام** (انجليزي، فرنسي، عربي)، دار الكتاب المصري، بيروت، 1994، ص162.

(13)-محمد فريد محمود عزت، **القاموس الموسوعي للمصطلحات الإعلامية** (انجليزي، عربي)، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة ، 2001، ص564.

(14)_ ماجي الحلواني، **مدخل إلى الفن الإذاعي والتلفزيوني والفضائي**، عالم الكتب، القاهرة، 2002، ص67.

(15)_ كرم شلبي ،"**معجم المصطلحات الإعلامية**"، دار الشروق، القاهرة، ط01 ،1987، ص603.

(16)- المنجد في اللغة والإعلام، **مرجع سبق ذكره**، ص02.

(17)- عبد الهادي الجوهري، **قاموس علم الاجتماع**"، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط09، 1998، ص19.

(18)- محمد عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص157.

(19)_ إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، **موسوعة نمو وتربية الطفل (تربوية، نمو، طبية، اجتماعية)**، الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، دون تاريخ، ص113.

(20)_ نصير بوعلي: **اثر التلفزيون الفضائي المباشر على الشباب** دراسة تحليلية وميدانية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، كلية العلوم السياسية والإعلام، قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2002/2003.

(21)_ وعد إبراهيم خليل الأمير: **دور التلفزيون في قيم الأسرة**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، بغداد، 1999.www.Sociology.maktooblogcom

(22)_ جيهان أحمد رشتي، **الأسس العلمية لنظرية الإعلام**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1975، ص511.

(23)_ عاطف عدلي العيد، **الاتصال والرأي العام**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993، ص199.

(24)_ نفس المرجع، ص200.

(25)_ نفس المرجع، ص201.

(26)_ حسن عماد المكاوي وآخرون، **الاتصال ونظرياته المعاصرة**، الدار المصرية اللبنانية، طبعة01، القاهرة، 1997، صص304-306.

(27)_ نفس المرجع، ص299.